

اثبتوا فيّ

بقلم
هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

المحتويات

مقدمة
نتائج الثبات في المسيح
أولاً: ظهور الثمر
ثانياً: استجابة الصلاة
ثالثاً: السلوك في خطوات المسيح
رابعاً: السلوك بحسب مجد المسيح الآتي
خامساً: استبعاد الإرادة الذاتية
ثمار الثبات

مقدمة

في لحظات مؤثرة حيث كان الرب فيها منفرداً مع تلاميذه، وهو يشاركهم كلماته الوداعية الأخيرة المُعزية، ومُقدِّماً لهم تعاليمه الأخيرة، ومُشدداً على الضرورة المُلحة والبركة من وراء تعليمه عن الثبات فيه. نسمعه يقول:

"اثبتوا فيّ وأنا فيكم، كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني لا تقدر أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فيّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق" (يوحنا ١٥: ٤-٧).

ومرة أخرى، فإن الرسول يوحنا، الذي سمع تلك الكلمات الوداعية من شفتي الرب، ينقل في رسالته للمؤمنين هذه الكلمات: "من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً" ١ يوحنا ٢: ٦. "والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه" ١ يوحنا ٢: ٢٨. "كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه" ١ يوحنا ٣: ٦.

هذه الأعداد من كلمة الله تُرينا بركة الثبات في المسيح. ولا بد من التوقف هنا لنتساءل: ما الذي نفهمه من كلمات الرب "اثبتوا فيّ". أفلا يتضمن المعنى السير بالقرب من المسيح حتى أن النفس تُسرُّ بمحبته الكاملة وبامتيازاته الأدبية الفارقة، فمن ثم ترى في المسيح غرضها ونموذجها الكامل.

أقول مرة أخرى، أفلا يفترض الثبات في المسيح قلباً له شركة مع المسيح، ومسرتة في أن يثق فيه ويتعلم منه؟.

وعلاوة على ذلك، أليس الثبات في المسيح يتضمن حياة تُعاش تحت تأثير حضوره ومتحققة بالإيمان؟ فإذا زارنا في منزلنا أحد رجال الله القديسين الذين يتمثلون بالمسيح، أفلا يترك حضوره تأثيراً ملموساً على كل فرد في البيت؟ فإذا كان هذا هو تأثير حضور إنسان مثلنا تحت الألام، فماذا يكون تأثير حضور المسيح نفسه؟.

هناك مشاهد مؤسفة تجري بين شعب الرب تُدُلُّنا وتكسر قلوبنا، عندما يثور الجسد وتتهيج الخصومة والنزاع بينهم، ويصبح المؤمنون بلا تروي في تفكيرهم، حُبثاء وحقودين، يجرحون بعضهم بعضاً بكلمات قاسية ومُعترّة. وربما حاولنا أن نبرر تلك الكلمات الصعبة التي تَفوّهنا بها. ولكن نفعل حسناً إذا واجهنا أنفسنا بهذا السؤال ماذا كنا نفعّل لو كان الرب في وسطنا؟ وحينئذ نعترف بأننا في محضر الرب سنتخلى عن الكثير من المرارة والكلمات الصعبة التي تَفوّهنا بها. أليس كذلك؟

ومن المفيد لنا أن نتذكر أن الرب مع كونه غير منظور لنا، لكنه يسمع ويرى ويعرف. حقاً هذا ما قاله المُرْتَم متساءلاً: "الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟.. المُعَلِّم الإنسان معرفة (ألا يعرف؟)" مزمور ٩٤: ٩ و١٠.

والسير بالشعور أنه لا يصغى إلى كلماتنا ويرى كل أعمالنا ويقرأ أفكارنا. معناه أننا نسير تحت تأثير حضوره المبارك ولذا نثبت فيه.

وأكثر من ذلك، فإن هذه النصوص الكتابية التي تُحرّضنا للثبات في المسيح، تُرينا أيضاً البركة التي نتمتع بها لو ثبتنا فيه.

نتائج الثبات في المسيح

أولاً- ظهور الثمر:

نتعلم أن الثبات في المسيح يُنتج ثمرًا. والرب يُشدّد على أهمية ذلك بصورة إيجابية وسلبية. فإيرينا أنه ما لم نثبت في المسيح لن نأتي بثمر. ويخبرنا أيضاً أننا لو ثبتنا فيه، وهو يثبت فينا نأتي بثمر كثير. ونتعلم من أجزاء كتابية أخرى أن "ثمر الروح محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣). فما هي تلك الصفات الحلوة غير صفات المسيح الجميلة؟ نقول بكل تأكيد أن الثمر الذي يتحدث عنه الرب هو نتاج صفاته الخاصة التي يطبعها في حياة المؤمنين.

والثمر في هذا النص ليس هو الخدمة أو ممارسة الموهبة، مع أهميتها إذا كانت في مكانها الصحيح، ذلك لأن المواهب هي للبعض وليست للكل، أما الثمر فهو متاح للجميع صغراً وكباراً على السواء، إنه تعبير عن حلاوة المسيح في حياتهم. إن القليل من نعمة المسيح تُنشئ ثمرًا للأب، وتظهر كشهادة للعالم. وهذا هو الغرض الأسمى الذي تُركنا له في هذا العالم المُظلم، لنُضيء كأوار مظهرين شيئاً من صفات المسيح الجميلة. وهذا من الممكن حدوثه إذا ثبتنا في المسيح. أما إذا سعينا لرفقته، ودخلنا تحت تأثيره بالثبات فيه، فإننا ننتقل إلى صورته من مجد إلى مجد.

يقيناً في حضورك تستريح نفسي هناك

وعيني تستقر عليك في بهاء أمجادك

فكمالاتك ما أعمقها لكني سأعرفها أكثر

وبتعبد حار أقدم فأزداد معرفة لك

ثانياً- استجابة الصلاة:

كلمات الرب تخبرنا صراحة أن الثبات في المسيح تجعل صلواتنا مستجابة. وبتأثير حضوره المبارك وكلماته التي تثبت في قلوبنا، فإن أفكارنا تتشكل بفكره، وصلواتنا تتوافق مع ذهنه، ولهذا فإن صلواتنا تُستجاب من لدنه.

ثالثاً- السلوك في خطوات المسيح:

يخبرنا الرسول يوحنا في رسالته أن الثبات فيه يقودنا إلى السلوك كما سلك ذلك (1 يوحنا ٢: ٦). كيف سلك المسيح؟ نقرأ عنه: "إن المسيح لم يُرضِ نفسه". وعن الأب قال المسيح "إني أفعل كل حين ما يرضيه". هذا المثال الكامل لسلوك المؤمن. وقال الرسول بولس: "يجب أن تسلكوا وتُرضوا الله" (1 تسالونيكي ٤: ١). ومرة أخرى فإن نفس الرسول يُحرِّض المؤمنين أن "يسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً" (أفسس ٥: ٢).

لهذا كانت علامات طريق الرب التي تميزه، هي اخفاء الإرادة الذاتية تماماً وهو يعمل إرادة أبيه، كذلك خدمة الآخرين بالمحبة. أما بالنسبة لنا فإنه من الممكن أن نسلك في طريق الكمال- بقدر ما- طالما نحن ثابتون في المسيح. ومن المفيد لنا أن نكون مثل مريم في القديم، التي جلست عند قدميه، نسمع كلامه. عندما نكون تحت تأثير حضوره، متذكرين طريقه، عندئذ يمكننا أن نتبع إثر خطواته، مصغين إلى كلمات محبته ونعمته، فنرى يده الممتدة بالبركة. ومن وراء سلوكه وطرقه وكلماته الكاملة، فإننا نُميز فيه الروح التي استبعدت تماماً كل أفكار ذاتية لكي يخدم الآخرين بالمحبة.

ربما نعرف تعاليم المسيحية، وقد نتمسك بحقائق الإيمان العظمى والأساسية، ولكن كما قال واحد: (مهما كان لدي من المعرفة ولو صحيحة، أو الذكاء والفهم الصحيح، فإن كل هذا لا يطبع فكر الرب يسوع المسيح على نفسي). فإذا كان علينا أن نحمل انطباعات المسيح وأن يكون لدينا شيئاً من أحاسيسه، فإنه يجب أن نكون في رفقته سائرين معه. ولهذا فإن كل واحد منا يتشكل برفقته، تلك الرفقة التي تحفظنا، ومن شأنها أنها تُظهر صفات ذاك الذي نسير معه فنعكس صفاته للآخرين. إذن فلنثبت في المسيح ولنسلك معه إذا أردنا أن نكون مثله، بل ونسلك كما سلك.

رابعاً- السلوك بحسب مجد المسيح الآتي:

يخبرنا الرسول بعد ذلك لأنه إذا ثبتنا في المسيح فإن سلوكنا لن يُخجلنا أمام المسيح في مجيئه. وفي أحوال كثيرة نجد الكثير من سلوكنا وطرقنا وأحاديثنا وعاداتنا يكون مألوفاً لدى الناس، وحتى بين شعب الله، وبالمعايير البشرية فإنها لا تستوجب الحكم عليها. أما إذا حكمنا على أنفسنا وعلى كلماتنا وطرقنا في ضوء المجد العتيق عند استعلان المسيح، أفلا نجد الكثير مما يستوجب الإدانة والاعتراف بخجل لما كان فيه من عجز لقياس مجد الله؟

إننا عندما نثبت في المسيح، وتحت تأثير حضوره، والسلوك في الحكم على الذات، فإنه بهذا فقط سنحفظ من كل ما يجعلنا نخجل في يوم مجده.

خامساً- استبعاد الإرادة الذاتية:

يُذكرنا الرسول يوحنا قائلاً: "كل من يثبت فيه لا يخطئ" (يوحنا ٣: ٦). ومن الآيات السابقة لهذا النص نتعلم معنى الخطية، ففي عدد ٤ "الخطية هي التعدي". إن جوهر الخطية هي عمل الإرادة الذاتية بدون الرجوع إلى الله أو الإنسان. إن العالم المحيط بنا يتميز بازدياد التعدييات. وكل واحد يفعل ما يحسن في عينيه، فماذا تكون النتيجة؟ إنه بدلاً من الارتقاء في الحضارة والتعليم والشرعية. فإن الأنظمة العالمية كما نراها، تسرع في التحلل، والمجتمعات والشعوب تنحدر إلى الوراء آخذة في التفسخ. وحيثما ساد روح الإثم فإن الخراب والتفكك يتبعه، سواء كان في العالم أو في شعب الله. ونحن المؤمنون في خطر التأثير بروح العالم المحيط بنا. وهكذا حدث بسبب عدم السهر فإن ذات مبدأ الإثم الذي فكك النظام العالمي، سرى بين شعب الله فأحدث الانقسام والتشتت.

فمثلاً، في مدرسة ما لو سُمح لكل تلميذ أن يفعل ما شاء، فمن المُتَعَدِر أن تستمر هذه المدرسة. وإذا كان كل فرد في العائلة يفعل ما يُعَن له فإن العائلة ستنكسر روابطها. وإذا كان كل فرد في جماعة المؤمنين يتبع إرادته الذاتية فإنها ستنفكك حتماً. إن روح الإثم متى ظهر في أي مجال فإنها ستقود إلى التفسخ، وبقدر ما يسعى هؤلاء حثيثاً إلى إتباع إرادتهم الذاتية بقدر ما يجلبون الخراب سريعاً. وبكل أسى نقول إنه ليس من سبب للتفسخ والانقسام والخراب بين شعب الله أعظم من الإرادة الذاتية العاملة في أشخاص ربما يكونون مخلصين.

فكيف نهرب من مبدأ الإثم أو الإرادة الذاتية؟ إنه بالثبات في المسيح، لأن الرسول يقول: "كل من يثبت فيه لا يخطئ". وبخضوعنا فقط تحت تأثير من استطاع أن يقول: "لم

آت لأفعل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني"، يمكننا أن نهرب من إرادتنا الذاتية التي هي أساس الخطية.

ثمار الثبات

هذه هي النتائج المباركة للثبات والتي نراها في الكتاب. فإذا تجاوزنا مع كلمات الرب بالثبات فيه، فإن حياتنا تأتي بثمر مُعبّرة عن صفة المسيح الحلوة.

وصلواتنا متى كانت بحسب فكره فإنها تُجاب

وسلوكلنا يظهر شيئاً من جمال سلوكه

وطرقنا تتفق مع مجد المسيح الآتي

ومسلكلنا يُحفظ من الإثم النابع من الجسد، الذي هو من الشرير- أصل فساد الإنسان وسبب أحزان العالم.

إنه من النافع لنا أن نصغي إلى كلمات الرب "اثبتوا فيّ.. لأنكم بدوني لا تقدرّون أن تفعلوا شيئاً". فقد تكون لنا الموهبة والمعرفة والحماس، وكذلك الخبرة الطويلة، ولكن هذه كلها حقاً بدون المسيح تبقى كلاشيء. فالموهبة والمعرفة والحماس ليست هي القوة، لأنها لا تُمكننا أن نغلب الجسد أو أن نرفض العالم أو نهرب من حيل الشرير. فقد يكون لدينا تلك الأشياء جميعها، ولكن بدون المسيح فإننا نتعثّر في أقل تجربة ونسقط في أعظم الشرور.

فطالما لا نقدر بدون المسيح أن نفعل شيئاً، فليتنا نسعى للثبات فيه ولا نتجرأ في اتخاذ خطوة واحدة، أو نسير يوماً بدونه.

احفظ نفسي يا يسوع فأكون ثابتاً معك

وإذا شردتُ فعلمني لأعود هارباً إليك.

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل